نَحْنُ المُسْتَغَلُّون، وأنتم المُسْتَغِلُّون

نَحْنُ المُسْتَغَلُّون، وأنتم المُسْتَغِلُّون. نحن نُشارك في الإنْتَاج الجَماعي، بَل المُجتمعي، وأنتم تَسْتَحْوذُون على فَائِض القِيمَة، المَنْتُوج جماعيا، وَتَتَمَلَّكُونَه، وَتُرَاكِمُونه، وَتَتَوَارَثُونه، وَتُعِيدُون اِسْتِثْمَارَهُ. وتجعلون من المِلْكِيَة الخاصَّة أساسًا وحيدًا لكلّ شيء.

نَحن نَنْحَازُ إلى المُسْتَغَلّين، والمُسْتَضْعَفين، والمَظْلُومين. وَأنتم تَنْحَازُون إلى الأَغْنِيَاء الرَّأْسَمَالِيّين، المُسْتَغِلّين، وَالظَّالِمين.

وَجَدْتُم مَنَافِعَكُم في الرَّأْسَمَالِيَة المُتَوَحّشَة، وَفَرَضْتُمُوهَا علينا بِقُوَّة الدولة. وَخَوْصَصْتُم التَعْلِيم، والصّحَة، وكُلَّ الخَدَمَات العُمُومِيَة. وَمُنْذُ أَنْ خَوْصَصْتُم كُلَّ شَيْء، أَصْبَحْنَا مَحْرُومِين مِنْ كُلِّ شَيْء! مَا هو نَاقِصٌ عِندنا، هو زَائِدٌ عِندكم!

نحن نعمل وَنَكِدُّ مثلكم، أو أكثر منكم، وَلَا يُساوِي مَدْخُولُنَا سِوَى جزءًا ضَئِيلًا من مَدْخُولِكُم. وَلَا تَقْدرُون على تَبْرِير الفرق الشَّاسِع بين نَمَط حَياتكم وَنَمَط حَياتنا. وأَعداؤنا هُم الرَّسَمَالِيُّون المُسْتَغِلُّون وَأَنْصَارُهُم.

أَلْهَاكُمُ جَنْيُ الأَرْبَاح، وَمُرَاكَمَة المُمْتَلَكَات، حتّى غَرِقْتُم في التَضْلِيل، والخِدَاع، وَالغِشّ، وَالفَسَاد، وَالأَزمَات. وَارْتَكَبْتُم الجَرائم والخِيَانَات. وَأَغْرَقْتُم بِلَادَنَا في سِلْسِلَة مِن الإِفْلَاسَات، وَالفَشَلَات، وَالكَوَارث.

وَأَعْمَت أَنَانِيَتُكُم أَبْصَارَكُم، وَعَطَّلَت حتّى عُقُولَكُم.

وَرَضِيتُم بِخِيَانَة الوَطَن، وَقَبِلْتُم بِالعَمَالَة لِلإِمْبِرْيَالِيَة، ولِلصَّهْيُونِية الاِسْتِعْمَارِيَة. وَفَرَّطْتُم في سِيَادَة الشعب، وَتَسَاهَلْتُم في حِمَايَة ثَرَوَات الوَطَن. وَأَوْصَلْتُم الشعب إلى قَاعِ الفَقْر، وَالجَهْل، وَالتَخَلُّف، والاِنْحِطَاط.

جَرِيمَتُكُم التي لَا تُغْتَفَر، وَلَا تَتَقَادَم، هي أنكم اِسْتَعْمَلْتُم السُّلْطَة السياسية لِلسَّطْوِ على الثَّرْوَة الاقتصادية. واسْتَعْمَلْتُم الثَّرْوَة الاقتصادية لِلسَّطْوِ على السُّلْطَة السياسية.

وَتَجْمَعُون بين السُّلْطَة والثَّرْوَة. وَتَتَوَرَّطُون في مَوَاقِع تَضَارُب المَصَالِح (conflits d'intérêts). وَتَغْتَنُون بِطُرُق غَيْرَ شَرْعِيَة. دُون مُرَاقَبَة، وَلَا تَحْقِيق، وَلَا مُحاسبة، وَلَا مُحَاكَمَة، وَلَا عِقَاب.

وَلَا تَرَوْنَ مِن سَبِيل لِتَدْبِير حُكْمِكُم سِوَى الاِسْتِبْدَاد. وَأَصْبَحَت دَوْلَتُكُم بُولِيسِيَة خَانِقَة، وَقَاهِرَة، وَمُحْتَقِرَة.

وَاحْتَكَرْتُم وَسَائِل الإِعْلَام العُمُومِيَة. وَحَوَّلْتُمُوهَا إلى أَبْوَاقٍ خُصُوصِيَة، وَكَاذِبَة، وَمُبَلِّدَة. وَشَغَّلْتُم فيها مُرْتَزِقَة مُكَلَّفَة بِمَدْح شَخْصِيَّاتِكُم، وَبِتَمْوِيه غِشِّكُم، وَسَرِقَاتِكُم. وَقَمَعْتُم حُرِّيَات المُوَاطِنِين، وَقَتَلْتُم الصَحَافَة المُسْتَقِلَّة، وَأَخْفَيْتُم المَعْلُومَات، وَتَلَاعَبْتُم بِالاِنْتِخَابَات، وَاشْتَرَيْتُم الضَمَائِرَ الضَعِيفَة، بِتَوْزِيع الرِّيع، وَالاِمْتِيَازَات.

وَأَفْسَدَت رَأْسَمَالِيَتُكُم المُتَوَحِّشَة حَتَّى البَشَر. وَحَوَّلَتْهُم إِلَى مُسْتَلَبِين، وَانْتِهَازِيِّين، وَأَنَانِيِّين، لَا يُرَاعُون لَا قَوَانِين، وَلَا أَخْلَاق، وَلَا حُقُوق الغَيْر. يَقْتَصِرُون على تَحْقِيق مَصَالِحِهم الخَاصَّة، وَيُعَرِّضُونَ غَيْرَهُم لأخطار دَاهِمَة.

وَحَطَّمْتُم عَقْلِيَة المُوَاطِنِين. وَحَوَّلْتُمُوهُم إلى فَرْدَانِيِّين، أَنَانِيِّين، وَخَائِفِين، لَا يَجْرُؤُون على الاِحْتِجَاج، أو على النِضَال، ضِدَّ مَا يُصِيبُهُم مِن أَضْرَارٍ جَسِيمَة في كَرَامَتِهِم، وفي حُقُوقِهِم، وحتّى في إِنْسَانِيَّتِهِم.

وَغَدَى كُلّ شيء في البلاد مَغْشُوشًا، وَمُزَيَّفًا. وَأَصْبح الظُّلْمُ والقَهْر شَائِعَيْن.

وَتُسَخِّـرُون الدَوْلَـة، بِـإِدَارَاتِهَا وَقَـوَانِينِهَا، لِخِدْمَـة مَصَالِحِكُـم الخُصُوصِيَة. وَلَم تَـعُد دَوْلَتُـكم تَخْـدُمُ مَصَـالح الشعب. بَـل تَـقْتَصِرُ دَولتكم على خِدمـة مصـالح المُسْتَـغِلّين الرَّأْسَـمَالِيّين الكبـار، والشركات الإِمْبرْيَالِيَة العَابِرَة لِلحُدُود.

وَحَوَّلْتُم مُخْتَلَف أَجْهِزَة الدولـة إلى شِبْهِ حِزْب سِرّي مَافْيُوزي. وَلَا يَـدْرِكُ هـذا الواقـع سِوَى المُوَاطِنُون الـذين سَبَـقَ لهم أن وَقَعُوا ضَحِيَّة لِلاسْتِبْدَاد الدولة وَفَسَادِهَا.

وَلِـذَلِكَ سَتَنْـزَعُ مِنْكُم ثَوْرَتُنَـا الآتِيَـة، وفي نَفْـس الآن، كُـلَّ السُّلُطَات، وَكُلّ الثَرَوَات. وَلَا تَقُولُوا بَعْدَئِذٍ عَنَّا أَنَّنَا قُسَاةٌ. وَإِنَّمَا نحن تَحَرُّرِيُّون، وَعَادِلُون، وَحَازِمُون.

وَلَن نَـقُولَ لَكُم كَيـف سَنُعَـامِلُكُم، مِثْلَمَـا أَنْتُم لَا تُصَارِحُونَنَـا حول كَيْفِيَة مُعَامَلَتِكُـم لَنَـا، الـتي تُخْـفُونَهَا. وَلَـوْ عَامَلْنَاكُم مِثْلَمَا تُعَامِلُونَنَا، لَمَا بَقِيَت على الأرض لَا سُلْطَة، وَلَا ثَرْوَة.

وَمَهْمَـا قَسَـى قَمْعُـكُم على مُنَاضِلِينَا، فَإِنَّ سَيْـلَ المُنَاضِلِين الجُدُد، المُصَمِّمِين على الكِفَاح، والـذين لَا يَخَـافُون مِن التَضْحِيَة، سَيَتَوَاصَلُ، وَسَيَكْبُر، حتى نَهْزِمَكُم، كُلِّيًا، وَنِهَائِيًّا.

وحينما تَنْهَضُ غَالِبِيَة الشعب لِلتَعْبِير عن طُمُوحَاتِهَا، وَلِلدِّفَاع عن اِخْتِيَارَاتِهَـا، يَغْـدُو الشـعب قَـادِرًا على فَـرْض إرادتـه. وَتُصْـبِح الأَجْهِزَة القَـمْعِيَة مُتَجَاوَزَة، وَعَاجِزَة على قَمْع كلّ أفراد الشعب.

وَنُـدْرِكُ جَيِّـدًا أن أيّ شَـعب، لَنْ يَقْـدِرَ على كَسْـب الحُرّيـة، والاِسْـتِقْلَال، والتَنْـمِيَة، والعَدَالَـة المُجتمعيـة، إِلَّا إِذَا كانـت أَغْلَبِيَة مُوَاطِنِيـه، مُنَظَّمَـة، وَوَاعِيَـة، وَمُصَـمِّمَة على النَضَـامُن، والنِضَـال، والمُـقَاوَمَة، والتَضْحِيَة، وَلَـوْ بِالحَيَاة، لِنَيْل هذه الأَهْدَاف.

وَنَتَحَمَّسُ لِبَـذْل كـلّ المَجْهُـودَات الضـرورية لِتَوْعِيَـة، وَتَـكْوِين، الأَجْيَال الجَديدَة مِن الشَابَّات والشُبَّان.

وفي إِطَـار كِفَاحِنَـا من أجـل تَحَرُّرِنَـا، ومن أجـل الاسـتيلاء على السُّلطة السياسية، لَا نَتَوَقَّرُ، نَحن المُسْتَغَلّين، على سِلَاح آخـر غـير التنظيم، والتعاون، والتكامل، والنضال، والتضحية. وَلَو أن التنظيم لا يَكْـفِي وَحْدَه.

وفي إطار كفاحنا مِن أجل تَغْيير وَتَثْوير المُجتمع، نحتاج أيضًا إلى الفِكْر الإنساني التَحَرُّري الأكثر تَقَدُّمًا في تاريخ البَشَريَة، وهو الفِكْر المَارْكْسي الثَوْري.

ونحتاج إلى بِناء تَنْظِيمَات مُتَنَوّعَة، وَمُتَعَدّدَة، وَمُتَشَابكَة. ومن باب الاحتياط ضد القَمْع الشَّرِس، نَسْتَحْسِن أن تَكُون هذه التنظيمات سِرّيَة، أو شِبْه سِرّيَة.

وَلِلْكِفَاح ضِدَّ النِظَام السياسي المُسْتَغِل، لَنْ يَصْلُحَ سِوَى الثَوْرِيُّون الجَذْرِيُّون الحَازِمُون. وَلَنْ يَنْفَعَ سِوَى الحِزب السِرّي لِلثَّوْرِيّين المُحْتَرِفين، وَدِيكْتَاتُورِيَة البْرُولِيتَارِيَا، والثَّوْرَة الشَّامِلَة.

وميزَات الثوريّين هي الوُضُوح، وَالجُرْأَة، وَالعَزِيمَة، وَالصَّرَامَة، والتَضَامُن، والقَبُول بالتَضْحِيَّة، وليس السُلُوك المُتَرَاخِي، أو المُتَرَدّد، أو الانْتِهَازي.

وَنَرْفُضُ أن تبقى أحزابنا اليسارية مُجَرَّد أَنْدِيَة لِلْمُنَاقَشَة اللَّامُتَنَاهِيَة. وَالوَاقِعُ المُرُّ يَفْرِضُ اِتّخَاذ إجراءات تَتَّصِفُ بالحَزْم وَالإِصْرَار.

وَلَنْ يُوجَدَ دَاخِلَ حِزْبِنَا الأَشْخَاص الإِصْلَاحِيُّون، وَلَا التَوْفِيقِيُّون، أو المُهَادِنُون، أو المُتَذَبْذِبُون. وَلَن نَقْبَل أيّة مُصَالَحَة مَع أعداء الشعب.

وَنَسْتَنْكِر كلّ مُحاولة لِلتَصَالُح مَع المُسْتَغِلّين الظَّالِمين، أو مع أَعْوَانِهم. وَنَتَصَدَّى لِكُلِّ مُحاولَة لِلتَوَافُق مع الرّجْعِيَة، أو مع الإِمْبرْيَالِيَة، أو مع الصَهْيُونِيَة.

وَنَرْفُضُ الوَحْدَة داخل نفس الحزب، بين تِيَّارَات ثورية وَأُخْرَى إِصْلَاحِيَة، أو بَيْن تِيَّارَات جَذْرِيَة وَأُخْرَى تَوْفِيقِيَة. وَكُلُّ وَحْدَة هَجِينَة تُؤَدّي إلى شَلَلِ الحزب المعني، أو إلى اِنْقِسَامِه.

وَنَكِدُّ لِتَطْهِير الحِزْب مِن الْأَعْضَاء المُنَادين بِالصُّلْح مع المُسْتَغِلّين، أو الذين لَا يُشاركون في النضالات الجماهيرية، أو لَا يُنَفّذُون المَهَام المُوكَلَة إليهم، أو لَا يَلتَزِمُون بالمبادئ الثورية، أو لَا يَنْضَبِطُون لِلْقَرَارَات المَحْسُومَة دِيموقراطيا.

وَنَحْرُصُ على إِيجَاد وَحْدَة قَوِيَة بَين نَمَطِ التنظيم الصَّلْب، وَنَمَط السياسة الثورية الجذرية.

وَنُؤَكِّدُ على أن بِنَاء الاشتراكية مَشرُوط بِأَن تَسْهَرَ طَبَقَة المُسْتَغَلِّين، بِتَنْظِيمَاتِهَا الخَاصَّة، على تَحْرِير نَفْسِهَا بِنَفْسِهَا، دون زَعَامَة، وَلَا نِيَّابَة، وَلَا وَسَاطَة.

رحمان النوضة، 7 ماي 2022.